سلاح المؤمن

محاورة جرت بين الأنبا يوساب المعروف بالأبح
أسقف جرجا في القرن الثامن عشر وبين عالم
مسلم في إثبات الثالوث وتجسد المخلص
وموته لفداء العالم

مقـــدمة

لما كان الكثيرون من المسيحيين يجهلون حقيقة اعتقادهم بالتثليث والتجسد وموت المخلص لفداء العالم فقد رأينا إعادة طبع هذه النبذة لتقوية إيمان المؤمنين . وهى محاورة للأنبا يوساب الأبح وهى المقالة الثالثة عشرة من كتاب (سلاح المؤمنين) . وقد قام من قبل بتنقيحها وطبعها المتنيح الطيب الذكر القس منسى يوحنا راعى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية بملوى سابقاً .

وقد كان الأنبا يوساب متضلعاً فى العلوم اللاهوتية وفى أيامه سعى أسقف رومية لجذب الأقباط إلى كنيسته فأرسل رسالة للبابا يوحنا الـ ١٠٧ البطريرك الإسكندرى يدعوه فيها إلى الخضوع له فأعطى الرسالة للأنبا يوساب وكلفه بالرد عليها ففندها ، وله كتاب ثمين فى ذلك عنوانه « سلاح المؤمنين » مخطوطة منه فى الدار البطريركية نسختان تاريخ إحداها ٢٦ برمهات سنة ١٠٦٧ ش وله كتاب آخر اسمه « الإدراج » للأنبا بؤنس الـ ١٧ اهتم به الأنبا يوساب تاريخ كتابته ١٩ مسرى سنة ١٠٤٥ ش وهو فى الشؤون الدينية الداخلية .

١٣٦٦ ش — ١٩٤٧م

محاورة

بين الأنبا يوساب الأبح الأسقف القبطي
وبين عالم مسلم

قال العالم للأسقف : إن أحد النصارى يعتقدون بإله واحد ثم يقرون بثلاثة آلهة ويقولون الآب والإبن والروح القدس ويعتقدون أن الآب إله ، والإبن إله ، والروح القدس إله ، ثم يغيرون الحديث مصرحين أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة ونحن وكل العالم نعلم أن الواحد غير الثلاثة والثلاثة غير الواحد . ولم نقف قط فى كتب الفلسفة على أن الثلاثة واحد والواحد ثلاثة . والأدهى قولكم أن الآب غير الإبن والإبن غير الروح القدس والروح غير الآب . ثم بعد ذلك تقولون إن الآب والإبن والروح القدس جوهر واحد ، إله واحد ، رب واحد ، سلطان واحد ، فعل واحد ، يصدر عن الثلاثة .

أجاب الأسقف العالم : هل تعتقد أن الله ذات موجودة أم غير موجودة ؟

العالم : إن قلت إن ذات الله غير موجودة فقد نسبت الله إلى العدم ، حاشا له لأن كل غير موجود ينسب إلى عدم الوجود .

الأسقف : وماذا تقول عن ذات الله ؟

العالم : إنى أقر أن ذات الله موجودة دائمة البقاء .

الأسقف : ماذا تقول عن ذات الله الموجودة . هل هى حية أم عديمة الحياة ؟

العالم : إن كل شيء موجود غير حى فهو جماد غير متحرك .

الأسقف : وماذا تقول عن ذات الله . هل هى حية أم عديمة الحياة ؟

العالم : إنى أقر وأعتقد أن ذات الله حية . وهو معطى الحياة لكل المخلوقات .

الأسقف : وماذا تقول فى ذات الله الموجودة الحية . هل هى ناطقة أم غير ناطقة ؟

العالم : إن كل شيء موجود حى غير ناطق فهو حيوان غير عاقل .

الأسقف : عرفنى ما ظهر لك من الحق عن ذات الله الحية هل هى ناطقة أم غير ناطقة .

العالم : إن قلت إن ذات الله غير ناطقة فقد دخلت إلى الكفر

وصيرت ذات الله كحيوان غير ناطق . وحاشا لله من ذلك لكنى أعترف وأعتقد أن ذات الله موجودة حية ناطقة ولولا ذلك لم يكن فى الموجودات أعنى المخلوقات يوجد حى ناطق كالملائكة والبشر .

الأسقف : وماذا تقول من ذات الله ؟ هل ذات الله هى النطق وهل هى الحياة ، أم ذات الله غير النطق والحياة . أم النطق غير الذات والحياة . أم الحياة غير الذات والنطق .

العالم : نحن نعترف بناء على العلم والنطق ، أن الذات غير النطق والحياة . والنطق غير الذات والحياة . والحياة غير الذات والنطق . وأن الذات علة النطق والحياة . والنطق والحياة معلولان من الذات .

الأسقف : ماذا تقول عن الذات ؟ هل هى والدة النطق ، والنطق مولود منها أم النطق والد للذات والذات مولودة من النطق . وماذا تقول عن الحياة . هل هى منبثقة من الذات والذات باعثة لها ، أم هى باعثة للذات والذات منبثقة منها ؟

العالم : إن العقل والعلم يدلانا أن الذات علة النطق والحياة ، وأن

الذات والدة النطق وباعثة الحياة وأن النطق مولود من الذات والذات والدة له ، وأن الحياة منبعثة من الذات والذات باعثة لها .

الأسقف : عندى وعندك وعند مختلف المذاهب أن كل شيء والد لشيء يسمى له أباً ، وكل شيء مولود من شيء يسمى له ابناً ، وكل شيء منبعث من شيء يسمى له روحاً .

العالم : هذا صحيح . ولكنى أريد أن أعرف ما معنى الذات والنطق والحياة عندكم .

الأسقف : إن الذات عندنا هي علة النطق والحياة . وإن الذات والدة للنطق ، والنطق مولود منها وباعثة للحياة والحياة منبعثة منها . فقولنا إن الذات والدة النطق فهى له آب بحيث أنها والدة . وقولنا إن النطق مولود من الذات فهو ابن بحيث إنه مولود من الذات . وقولنا إن الحياة منبعثة من الذات فهى روح لها بحيث أنها منبعثة منها . هذا هو قولنا الآب والإبن والروح . فقل لى ماذا تقول عن الذات والنطق والحياة . هل الذات قائمة بالنطق أم قائمة بالحياة ، أم هل النطق قائم بالذات أم بالحياة ، أم هل الحياة قائمة بالذات أم بالنطق ؟

العالم : لامراء فى أن الذات قائمة بذاتها وناطقة بخاصية النطق وحية بخاصية الحياة . وأن النطق قائم بالذات ذات الوجود ناطق بخاصيته ، حى بخاصية الحياة . وأن الحياة قائمة بذات الوجود ، ناطقة بخاصية النطق . حية بخاصيتها .

الأسقف : هذا هو قولنا إن الذات والدة النطق فنقول إنه هو الإبن ، والحياة منبثقة من الذات فنقول إنها الروح القدس . من أجل هذا نقول مثل قولك إن الآب قائم بذاته ، ناطق بخاصية الإبن الذى هو النطق ، حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ، وأن النطق قائم بخاصية الذات التى هى الآب ، ناطق بخاصيته حى بخاصية الحياة التى هى الروح القدس ، وأن الحياة قائمة بخاصية الذات التى هى الآب ناطقة بخاصية النطق الذى هو الإبن وحية بخاصيتها التى هى الروح القدس ، وهذا هو قولنا الآب والإبن والروح القدس إله واحد .

العالم : حقاً لقد مضت على مدة أحاول فهم عقيدة النصارى بدون جدوى أما الآن فهمت يقيناً إذ ذكرت لى الذات والنطق والحياة وأظهرت لى أن ذات الله موجودة حية ناطقة وعرفتنى أن الذات علة النطق والحياة ،

وأن النطق مولود من الذات ، والحياة منبثقة من الذات ، وأن الذات والدة النطق وباعثة الحياة . فبهذا تحققنا أن الذات تدعونه الآب لكونه والد النطق ، والنطق تدعونه الإبن لكونه مولوداً من الذات ، والحياة تدعونها روحاً لكونها منبثقة من الذات . ففهمنا الآن أن الله هو هو واحد بثلاث صفات وإن شئت ثلاث خواص أعنى الذات والنطق والحياة وإن شئت الأبوة والبنوة والانبثاق أعنى الآب والإبن والروح القدس . فبناء على ذلك أنتم تعتقدون فى الله اعتقاداً كاملا ولكن ما الذى أحوجكم إلى مثل هذا البحث العميق ولماذا لا تقول إن الله واحد دون البحث فى غير ذلك ؟

الأسقف : لقد اضطرنا إلى البحث فى ذلك الهراطقة الذين ظهروا وعلموا تعاليم ملتوية عن الله ، فمنهم من أذاع أن الله ذات واحدة بخاصية واحدة ووجه واحد وجردوه من النطق والحياة ، ومن قال إن نطق الذات الذى ندعوه إبناً هو مخلوق . ومن قال إن حياة ذات الله التى نسميها الروح القدس هو محدث وصيروا فى جوهر اللاهوت خالقاً ومخلوقاً . وآخرون قالوا إن فى الله ثلاثة آلهة يدعونهم معظماً

وأعظم منه . وغيرهم إن في السماء إلهين هما إله النور وإله الظلمة . فاضطر علماؤنا تلقاء ذلك أن يحددوا الإيمان الصحيح ليوقفوا المبتدعين عند حدهم .

والمبتدعون قال عنهم القرآن إنهم المشركون إذ قال : « لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة » (المائدة ٧٣) وقال « فاستفتهم ألربك البنات ولهم البنون » (الصافات ١٤٩) وقال « يا عيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله » (المائدة ١١٦) وقال « بديع السموات والأرض أنى يكون له ولد ولم تكن له صاحبة » (الأنعام ١٠١) وقال « وإنه تعالى جدُّ ربنا ما اتخذ صاحبة ولا ولداً » (الجن ٣) . فالمسيحية بريئة من هذا الإشراك لأنه كفر مبين .

وللآن توجد طائفة نصرانية تعتقد في الله بخلاف ما شرحت لك فتعلم أن الله ذات موجودة حية ناطقة وتقول إن ذات الوجود والحياة والنطق الذى هو كلمة الله ، وأن الحياة التى هى الروح القدس منبثقة من النطق والذات . فهل ترى هذا التعليم صحيحاً ؟

العالم : هذا الاعتقاد منقوض من كل وجه فلسفى وعقلى وشرعى

لأنه إن كان الله جوهراً واحداً ذا ذات واحدة ناطقة حية وإن الحياة والنطق صادران عن الذات الواحدة . النطق مولود والحياة منبثقة منها . فكيف يقولون إن الحياة منبثقة من الذات ومنبثقة من النطق ، فقولهم يجعل فى جوهر اللاهوت ذاتين أو بالحرى علتين أو إلهين . ويكون على رأيهم أن الذات أب والنطق ابن الذات والحياة إبنة للنطق فينعكس عليهم دينهم ويبطل قولهم إن الآب آب فقط لكن يسمى أباً وجداً أعنى أباً للنطق وجداً للحياة ويبطل قولهم أيضاً فى الإبن إنه إبن فقط لأنه يصير إبناً للذات وأباً للحياة . فيكون على هذا الإبن مولوداً ووالداً . ويبطل قولهم فى الحياة إنها منبثقة من الذات فقط بل يقال منبثقة من النطق والنطق باعث لها . وبهذا يجعلون فى اللاهوت مقادير ، أى أنهم يقدرون أن نصف الحياة منبعث من الذات والنصف الآخر من النطق ، ويخرج من ذلك إلى القول بأن الحياة روحان : واحد منبعث من الذات والآخر من النطق وإن كان ذلك كذلك يحتاج أن يكون ناطق نطق ومن ثم يصير لهم ذاتان فإلهان(١) .

(١) إشارة إلى الطوائف المسيحية التى تعلم بأن الروح القدس منبثق من الآب والإبن خلافاً لنص الإنجيل بأنه منبثق من الآب فقط (يو ١٥ : ٢٦) .

ولكن قل أيها الأسقف : قلت إن النطق هو ابن الله فكيف تقولون عن سيدنا عيسى إنه ابن الله أيضاً ؟ هل لله إبنان ؟ فعرفني على أى نوع تدعون سيدنا عيسى ابن الله .

الأسقف : لقد سألتنى سؤالا يحتاج إلى عقل روحانى خال من الهيوليات فاصغ لما أقول : أنت تعلم أن الإنسان مثلا له ذات ونطق وحياة ، أعنى جزء الحياة وجزء الذات وجزء الناطق ، لأن كل إنسان هكذا حي ماثت ناطق ، وكل حى مائت ناطق إنسان فإذا أراد الإنسان مثلا أن يرسل كلمته إلى بلد يلبسها جسماً لكى تظهر لأعين الناظرين أعنى أن تتحد كلمته بالمداد . فهنا صار للمداد كلمة . والكلمة صارت مداداً . وإذ يرسلها مرسلها إلى حيث يريد هناك تظهر الكلمة للكثيرين حتى إن كل واحد يقول لصاحبه قال فلان كذا وكذا وأمر بكذا أو كذا وتصير الكلمة فاعلة بحسب إرادة مرسلها والكلمة حقاً لم تنتقل من قلب مرسلها ، هكذا نحن نعتقد أن الآب لما أراد أن يرسل كلمته لخلاص العالم أتت هذه الكلمة وحلت فى أحشاء العذراء وأخذت من أحشائها جسما كاملا ونفساً عاقلة واتحدت بهما كلمة الله كاتحاد النفس

بالجسد وكاتحاد الكلمة بالعذراء . فمن أجل هذا نقول إن ابن الله المولود من الذات الأزلية هو بعينه المولود من العذراء .

العالم : إنه بحسب تعليمك الأول أن لذات الله نطقاً واحداً فيكون أن كلمة الله التي هي نطق الذات انتقلت من ذات الآب وحلت في بطن العذراء ، ولما كان المسيح موجوداً على الأرض كانت ذات الله بغير نطق وكان الله غير ناطق . حاشا لله من ذلك . إن القرآن ينقض هذا القول .

الأسقف : ليت شعري لو تصفحت قرآنك حسناً لوجدته يقول عن سيدنا المسيح إنه روح الله وكلمته بقوله « إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه » (النساء ١٧١) وقال « إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين » (آل عمران ٤٥) . وقد سبقنا وعرفناكم أن روح الله وكلمته هما النطق والحياة اللذان لذات الله ، وهما مقتنا جوهر الله ، وكتابك يشهد بذلك كما ذكرت لأننا نعتقد أن كلمة الله أخذ جسداً من العذراء بواسطة روح الله وكلمته

القدوسين . من أجل هذا قال كتابك إن المسيح روح الله وكلمته .

العالم : حيرتنى إذ ذكرت لى قول القرآن هذا الذى كنت أقرأه قبلا بدون وعى فقل لى كيف انتقلت كلمة الله من الذات الإلهية وحلت فى بطن العذراء . هل انتقل النطق من الذات بالكامل أم انتقل من النطق شىء وبقى منه شىء ، أم وقعت الكلمة كلمة من بعض الكلام ، فإن كانت الأولى فتكون ذات الله بقيت فى ذلك الزمان بغير كلمة ، وإن كانت الثانية فتكون كلمة الله تجزأت أى أنه أرسل منها جزءاً ، وإن كانت الثالثة فتكون ليست هى كلمة الله بل هى كلمة من بعض الكلام .

الأسقف : لماذا لا ترفع عقلك من الهيوليات وتخلص من أحكام المادة . لماذا تنظر إلى الأمور الكثيفة والله بسيط لا يتجزأ . كيف تعترف بلسانك أن الله مالىء السماء والأرض ولا يخلو منه مكان ومع ذلك تتكلم كلاماً كأنك تنكر به ذلك . فماذا تقول ؟ هل يملأ الله السماء والأرض خالية منه ، أم يملأ الأرض والسماء خالية منه ، ولكن نحن وأنتم وكافة العقول البشرية نعتقد أن الله فوق الكل وتحت الكل

وعلا الكل ويتحد بالكل . ولننظر إلى طبيعة النار المخلوقة ، فإنه ولا واحد من المخلوقات يعرف حقيقة طبيعتها وأين هي ، إن طبيعتها موجودة في الحجر والخشب والحديد وتراب الأرض . وإذا أريد أن يخرج فعلها ظاهراً فيضرب الحجر والحديد وإذا أعطيتها مادة هيولية فتظهر فعلا على قدر ما تجد في مادة الهيولى . فماترى أليست هذه طبيعة النار ؟ نعم هي طبيعتها . ولكن هل هذه كل طبيعة النار ؟ كلا بل هي جزء من طبيعتها لأنه إذا كانت هذه هي كل طبيعة النار فعندما نطفئها كافة يجب أن يقال إننا أبطلنا كل طبيعة النار . فطبيعة النار موجودة في كل مكان لأن الجزء من الكل يسمى بالكل . ولا نعتقد أننا نمثل بطبيعة النار كل ما يجب أن نتكلم به عن اللاهوت بل نتخذ منها ماينطبق ونرفض مايعارض . فمثلا نجد أن النار تتجزأ والله لايتجزأ ، والنار وإن كانت طبيعتها بسيطة إلا أنها ليست إلهاً بل هي عنصر مخلوق .

غير أننا نضرب مثلا لمن يريد أن يفهم كيف اتحدت كلمة الله الأزلية بطبيعتنا المخلوقة إتحاداً طبيعياً وهو أنك إذا وضعت ماء في إناء ثم أوقدت ناراً قوية تحته تجد أن بسيط النار يجذب الماء الموضوع

فى الإناء إلى طبع النار ، والماء لم يتغير عن ماهيته . إذا نظرت إليه تجده ماء ولكن إذا وضعت يدك فيه تجده ناراً . وكل ذوى العقول السليمة يعرفون أن كيفية النار وفعلها لا يتحدان بالمياه لأن طبيعة النار ضد طبيعة المياه ، وأما الذى اتحد النار بالماء فليس طبيعة النار بل بسيط طبيعتها .

وذلك الماء الذى اتحد ببسيط النار لا يقال عليه إنه ماء فقط أو نار فقط ولا يقال إنه ماء ونار بل من الحق الواضح يقال إنه ماء ساخن .

وهذا كقولنا فى السيد المسيح ، حيث اتحدت الكلمة الأزلية البسيطة أيضاً بانبساطها من الذات الإلهية إلى الذات الإنسانية إنبساطاً واحداً ههنا وههنا ، واتحادها بالطبيعة البشرية كاتحاد بسيط النار بالماء ، فلا يقال عن السيد المسيح إنه إله وإنسان بل إله متأنس(١) .

---

(١) هذا ينقض تعليم الطوائف المسيحية التى تعلم بطبيعتين فى السيد المسيح وتعلم بطبيعة واحدة .

من أجل هذا نعتقد ونعترف أن المسيح ابن الله لكون الكلمة الأزلية اتحدت بالطبيعة البشرية كاتحاد بسيط النار بالماء وكاتحاد النفس بالجسد الذي لنا ، لأن النفس ليست جسما ولا هي قوة في جسم . وليست هي عرضية ، بل هي جوهر لطيف دائم الحياة والبقاء وليس هو بمائت بموت الجسد ، وإذا اتحدت النفس هذه أي الروح الناطقة العملية مع الجسم الحيواني لذلك سمي الإنسان حيواناً ناطقاً ، ولا يجوز أن تدخل بين اللفظتين واو العطف لأنها تبطل معنى الاتحاد فلاينبغي أن يقال إنه حيوان وناطق ، وهكذا لا يجب أن يقال في السيد المسيح إنه إله وإنسان إله متأنس ، هذا هو قولنا بل واعتقادنا في المسيح أن كلمة الله البسيطة اتحدت بطبيعتنا البشرية المأخوذة من مريم البتول . من أجل هذا نقول قولا واحداً أن المولود من مريم هو ابن الله ، ونقول إن كلمة الله الأزلية هي بعينها المولودة من مريم في ذلك الزمان .

العالم : هذا كلام حسن ويظهر أن كثيرين من النصارى لايعلمونه بل يؤمنون فقط إيماناً بسيطاً ، غير أني أقول لك إنكم قد حرفتم الإنجيل ودونتم به ما رغبتموه وحذفتم ما لا ترضونه .

الأسقف : كيف تقول ذلك والطوائف المسيحية المختلفة تحفظ إنجيلا واحداً فهل اتحد جميعهم على تحريفه ؟ وهل جمعوا النسخ التى انتشرت فى كل العالم منذ القرن الثانى للميلاد وحرفوها فإنه توجد نسخ من ذلك القرن محفوظة فى المكاتب العظمى كالنسخ التى بين أيدينا تماما؟ ولو اردنا حذف شيء منه لحذفنا كلمات الإهانة التى تخصنا كقوله « من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ومن أراد أن يأخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضاً » وقوله « لا تخافوا من يقتل الجسد » وقوله « إذا طردوكم من بلد اهربوا إلى أخرى » بل كنا حذفنا ما لحق بسيدنا المسيح من اليهود من الإهانة ، لأن كل طائفة تشرف معبودها وتجل مقامه ، تنزهه عن احتمال الجلد والحبس والصلب والآلام ولكن حيث إنك تجد فى الإنجيل كل ذلك فهو دليل على أنه سالم كما أوحى به .

العالم : لقد عرفتنى بعدم جواز القول فى المسيح بأنه إله وإنسان بل إله متأنس وذكرت الآن أنه أهين وعذب وصلب فهل يسلم العقل بأن يصاب ابن الله بمثل ذلك ؟

الأسقف : إعلم أن موت سيدنا المسيح مدون فى قرآنك حيث جاء

فى سورة مريم (٣٣) « وسلام على يوم ولدت ويوم أموت ويوم أبعث حيا » وقال كتابك أيضاً « ياعيسى إنى متوفيك ورافعك إلى (آل عمران ٥٥) . أما قولك إن ذلك يبعث على الكفر لأننا نقول إن ابن الله تألم وصلب ومات فاعلم أننا لاننسب ذلك إلى كلمة الله الأزلية بل ننسب آلامه وصلبه وموته إلى إنسانيته التى أخذها من مريم البتول فهو تألم بالجسد وصلب بالجسد ومات بالجسد وقام جسده من الموت بقوة الوهيته .

إنك تعلم أن الإنسان المركب من الروح والجسد يتألم بجسده لابروحه ويقبل الأوجاع بجسده لابروحه ، ويموت بجسده لابروحه ولكن مع ذلك يقال الإنسان تألم ، الإنسان مرض ، الانسان مات « الانسان لم يسم إنساناً إلا بالروح الناطقة وبغير الروح فهو حيوان فقط . ومن الحق الواضح أن الروح لم تتألم ولم تقبل الآلام بخاصية جوهرها ولكن بخاصية جسدها ، هكذا قولنا فى السيد المسيح إنه تألم بإنسانيته وإن شئت بجسده وقبل الصلب والآلام بجسده كما قلنا أولا .

العالم : وما الذى اضطر المسيح أن يقبل هذه الآلام ؟ هل الغالب

من اليهود ولم يقدر أن يخلص ذاته منهم أم فعل ذلك بإرادته ؟ وإن كان فعل ذلك بإرادته فما الذى ألجأه إلى ذلك ؟

الأسقف : أعلم أن سيدنا المسيح قد فعل ذلك بإرادته وأما قولكم فما الذى اضطره إلى ذلك فأنت تعلم أمر مخالفة أبينا آدم وصية الله بسبب غواية الشيطان الذى اختفى فى جسم الحية وحق عليه الحكم القائل « موتاً تموت تكوين ٢ : ١٦ و ١٧ » فطرد من الفردوس وبعد ذلك ولد الجنس البشرى وأصبح العالم تحت سلطة الشيطان يقول القرآن : « فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه الخ » (البقرة ٣٦) ، ومن ثم دبر الله بحكمته الأزلية أن يرسل كلمته إلى أحشاء البتول « ليسحق نسل المرأة رأس الحية تكوين ٣ : ١٥ » واختفى الإله فى جسم الإنسان كما يختفى الراعى فى جلد الخروف لكى يصطاد الذئب الذى يبدد الغنم . اختفى الإله فى جسم الانسان لكى يصطاد العدو الذى ترأس الجبلة الآدمية ، وقبل الاستهزاء والصلب والآلام ليتوب عن آدم أمام العدل الإلهى من جهة ، وليخفى لاهوته عن الشيطان من جهة أخرى ، ولما رآه الشيطان مصلوباً كأولاد الله حضر إليه عند الصليب إلا أنه رأى العناصر برمتها تضطرب فرام الهروب ، فسيدنا المسيح لكى يمثل الإنسانية

ويلف موقف آدم في جميع الأحوال صرخ « إلهي إلهي لماذا تركتني » و « أنا عطشان » فطمع الشيطان ودنا منه ليشاهد ما يحدث فصرخ المخلص « قد أكمل » ومن ثم قبض على الشيطان وظفر به وخلص العالم من سلطانه وأصبح المسيح هو مالك العالم وسلطان الكون وصار يحق له القول « دفع إلي كل سلطان مما في السماء وما على الأرض » هــذا هو سبب قبول مخلصنا الآلام والصلب والموت .

العالم : حقاً لقد كنت أظن أن النصارى كفرة مشركون بالله يجعلون له إبناً ويوجبون عليه الولادة والموت ، أما الآن فقد علمت أنكم تعتقدون اعتقاداً سليماً في الله .

إعتراضان

(١) إذا كان الإبن مولوداً والروح منبثقاً كانا حادثين - ورد عليه بأنه مسلم أنه لا يمكن قيام الذات بلا نطق وحياة ولا توجد النفس عاقلة بدون الحياة والنطق فلا يمكن أن نتصور وجود الله بدون كلمته وروحه وإلا للزم أن يوجد الباري وقتاً بلا نطق وحياة .

(٢) الله إله والابن إله والروح إله . ومع ذلك ليسوا ثلاثة آلهة لأن الجوهر يعم ويخص فجوهر الله تعالى يعم الخواص أو الأقانيم الثلاثة ويخص بالنسبة لنفسه أو لذاته أي أن الجوهر الواحد بالنسبة لخاصة الأبوة (إله) وبالنسبة لخاصة البنوة (إله) وبالنسبة لخاصة الإنبثاق (إله) ليسوا هم ثلاثة جواهر أو ثلاث ذوات حتى يكونوا ثلاثة آلهة . . بل جوهر واحد مثلث الخواص أو الأقانيم ، والجوهر يمكن أن يكون واحداً من وجه ويكون أكثر من واحد من وجه آخر فيكون هو واحداً من حيث هو جوهر وأكثر من واحد إذا تخاصت له الأوصاف الجوهرية المقدسة لذاته وكان معنى كل صفة غير معنى الصفة الأخرى فالشمس واحدة بالنظر إلى جرمها وأكثر من واحدة إذا نظر إلى خواصها الجوهرية أي شعاعها ونورها وحرارتها فإنه يصح أن يطلق على كل منها اسم الشمس ولا تكون شموساً كثيرة بالنظر إلى ذاتها بل بالنظر إلى المعاني والخواص فقط ولله كل مجد آمين .